حكمة الدّعوة وبراعة الخطاب في حوار جعفر بن أبي طالب مع النّجاشي

The wisdom of Dawaa and the ingenuity of discourse in Dialogue of Jaafar bin Abi Talib with Najashi

محمد بن راشد المرّي*

كليّة الشّريعة، جامعة قطر، قطر، mohasalem844@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/05/13 تاريخ القبول: 2020/05/29 تاريخ: النشر: 2020/06/08

الملخص:

يعالج البحث براعة خطاب جعفر بن أبي طالب وحكمته في الدعوة أمام النجاشي، والتي تمثَّلت فيها قيم الإسلام النبيلة، وهدم الفكر المنحرف، ويركز البحث على طبيعة الأساليب التي اعتمدها جعفر بن أبي طالب في إقناع النجاشي وكيفية الاستفادة من هذه الأساليب في الدعوة إلى الله، معتمدا على منهج تحليلي واستنباطي في أفق مقاربة أساليب الحكمة الدعوية للواقع الدعوي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الدعوة– الحوار – الحكمة – البراعة– جعفر بن أبي طالب– النجاشي.

* المؤلف المرسل

Abstract:

The research deals with the ingenuity and wisdom of Jaafar bin Abi Talib's speech in the Daawa in front of Najashi, in which the noble values of Islam were manifested, and the destruction of deviant thought, and the research focuses on the nature of the methods adopted by Jaafar bin Abi Talib in convincing Najashi and how to benefit from these methods in Dawaa to Allah, Relying on an analytical and deductive approach, the horizon of Dawa's wisdom approaches to Contemporary Daawa conditions.

Keywords: Daawa - Dialogue - Wisdom - Dexterity - Jaafar bin Abi Talib - Najashi.

مقدمة:

الحوار ركيزةً أساسيّةً مِن ركائز الدّعوة الإسلامية مُنذ ظهورها، فالدّعوةُ تقُوم أساسًا على الحِوار مع الطّرف المقابل مِن أجل إقامة الحجّة والإقناع بالبرهان والدّليل، وبذلك يبرُزُ الدّور الفعّال للحِوار باعتباره رُكنًا أساسيّا مِنْ أركان الدّعوة لاسيّما إذا كان مُنضبطًا بِضَوابط وآدابٍ مُعيّنة؛ كالاتّصاف بالحِكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هِيَ أحسن، وكذا براعةُ الخطاب وحلاوةُ المنطق وحُسن الإنصات. فالحوارُ هو الوسيلة الوحيدة التي تُمكّن مِن إقناع الطّرف المُخالف بصِحّة ما نعتقدُه ونُؤمن به مِنْ أفكار ومفاهيم ومبادئ وقِيَم، والحوار أيضًا يُساهم في تقريب وجهات النّظر بين المتحاورين، وكذا في كشف الشّبهات ودَحْضِ الأباطيل وإبطال التّهم.

ولِكَيْ يكون الحوار ناجعًا ومُحقِّقًا لهذه الأهداف النّبيلة؛ لا بُدّ أنْ يتّسم بالهدوء والرّصانة والصّدق والإخلاص في طلب الحقّ، مع الابتعاد عن التشنّج والغضب والاستفزاز، والحماس المفرط وإتباع الهوى، والتجرّد التّام لطلب الحقّ أيْنَما كانوا مَهْمَا كان صاحبه؛ يقول الإمام الغزالي عِند ذِكره لعلامات طلب الحقّ: "أنْ يكُون في طلبِ الحقّ كناشدِ ضَالّةٍ، لا يُفرّق بيْنَ أن تَظْهَرَ الضّالةُ

على يدِهِ، أوْ على يَدِ مَنْ يُعاوِنُهُ، ويرى رفيقَهُ مُعينًا لا خَصْمًا، ويَشْكُرُهُ إذا عَرّفَهُ الخطأ وأظْهَرَ لهُ الحقّ".(1)

ولعلّ هذا ما يُميّز حِوار جعفر بن أبي طالب مع النّجاشي الذي جمع بين حِكمة الدّعوة ومتانة الأسلوب، وبراعة الخطاب، وقوّة الحجّة، فصار بذلك نموذجًا للدّعاة والخطباء وكذا المهتمّين بالسّياسة الشرعية وفنون التّواصل.. وهو ما حفّزني لدراسته وتحليل مضمونه واستخراج بعض فوائده وإبْرَازِهَا للباحثين المشتغلين في مجال الدّعوة والعلوم الشرعية عُمومًا.

فما هو السّياق العام لحِوار جعفر بن أبي طالب مع النّجاشي ؟

وما هو الأسلوب الذي اعتمده جعفر في إقناع النّجاشي ؟

وما هي مميّزات هذا الأسلوب وكيف نستفيدُ منه ؟

وسأحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه الإشكاليات في أربعة مطالب، وهي؛

1- السّياق العام لحِوارِ جعفر مع النجاشي

2- التّصوير الدّقيق لبشاعة الجاهليّة وسماحة الإسلام

3- الهجوم الإعلامي ودَحْضُ الشّبهات

4- مكانةُ الحِكمة في أسلوب جعفر الدّعوي

ثمّ الخاتمة والاستنتاجات

هذا ولا بد من الإشارة إلى أنّي -ورغم بحثيَ الطويل- لم أجِدْ مَنْ أفْرَدَ هذا الموضوع ببَحْثٍ مُستقلّ، سِوى ما كُتب عنهُ في كتب السّيرة النبوية ككتاب ابن إسحاق وابن هشام،وبعض كتب الحديث كصحيحيّ البخاري وابن خزيمة وسنن البيهقي الكبرى، وبعض الكتب المعاصرة التي اعتنت بفِقْه السّيرة ككتاب محمد الغزالي وعلي الصلابي وغيرهم.. وهو ما حفّزني إلى الاشتغال

على حوار جعفر مع النّجاشي ومحاولة تفكيكه، وتناول أسلوب جعفر الدّعوي لمعرفة بعض أسراره، واستخراج فوائده، والبحث في كيفيّة الاستفادة منه في عصرنا الحاضر.

1- السّياق العام لحِوار جعفر بن أبي طالب مع النجاشي

لمّا اشتدّ الأذى على المسلمين في مكّة أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض أصحابه بأن يهاجروا إلى أرض الحبشة فقال لهم:"إنّ بأرض الحبشة مَلِكاً لا يُظلم أحدٌ عِنْدَهُ، فالحقوا ببلاده حتّى يجعل الله لكُمْ فَرَجاً ومَخْرَجًا مِمّا أنتم فيه".(2)وكان ذلك في السنة الخامسة من البعثة وهي الهجرة الأولى إلى الحبشة حيث أقاموا بها فترةً، ثمّ لمّا بَلَغهُم بخبر إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ابتهجوا وفرحوا ظنّا منهم أنّ الأمور ستتحسّن بإسلامهما نظرًا لمكانتهما الرفيعة في قريش، فقرّروا العودة إلى مكة حيث زادت الأمور تعقيدا ممّا أجبر أغلبهم على الهجرة للمرّة الثانية وكان عددُهم يفوق الثمانين.

وتُمثّل الهجرة الثانية للحبشة الإطار الزماني لحِوار جعفر مع النجاشي، حيث وصل الصّحابة أرض الحبشة رفقة أميرهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، واستقرّوا فيها وأمّنَهُم النّجاشي على دينهِم وضَمِنَ لهم حريّة المعتقد والإقامة في بلده؛ وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: لمّا نزلنا أرض الحبشة جاورَنا بها خير جارٍ النّجاشي، آمنّا على ديننا، وعَبَدْنَا الله لا نُؤذى ولا نسمعُ شيئًا نكرَهُهُ".(3)

والملاحظ هُنا أنّ بقاء المسلمين بأرض الحبشة واستقرارهم فيها ليس بالأمر السهل، إذْ لا بُدّ أنْ يكون النجاشي قد اتّخذ إجراءاتٍ احتياطيةٍ رقابيّة عليهم، لأنّه -ومهما يكُنْ- فهؤلاء غُرباء على بلده ولا يعلمُ عنهم شيئًا، ولا بُدّ لهُ مِنْ مُراقبتهم فترة معيّنة حتى يتأكّد مِن احترامهم لعادات وقوانين بلده، وعدم تدخّلهم في الشّأن الدّاخلي لحُكمه وسُلطانه، ويطمئنّ مِن ناحيتهم أمنيّا وسياسيّا واجتماعيّا، وهذه الإجراءات الاعتياديّة في الحقيقة تقوم بها جلّ الدول والممالك والإمبراطوريّات الكبرى حِفاظا على أَمْنِهَا القومي، والظّاهر أنّ النّجاشي قد تأكّد مِن احترام الوافدين لأعراف بلده والتزامهِم بها وعدم تدخّلهِم في الشّؤون الداخليّة، وهو ما جعل منه "خَيْرَ

جارٍ" لهم،يعبدون الله تعالى ويُقيمون شعائر الإسلام بحريّة مُطلقة، مع تمتّعِهم بالأمن والإحاطة الاجتماعيّة والنفسيّة (ولا نسمعُ شيئًا نكرهُهُ). وهو ما ساعدهُم على التّأقلم مع أفراد المجتمع الحبَشي والاندماج فيه.

وبَقِيَ الأمر على ذلك الحال حتى بعثت قريشٌ رجلين إلى النّجاشي لهدف استرجاع الصّحابة المهاجرين؛ قالت أمّ سلمة:"فلمّا بلغ ذلك قريشا ائتمروا أنْ يبعثوا إلى النّجاشي فينا رجُلين جلدين، وأن يهدوا للنّجاشي هدايا مما يَستطرفُ مِن متاع مكّة، وكان مِن أعجبِ ما يأتيه منها إليه: الأَدَمُ، فجمَعُوا لهُ أَدَمًا كثيرًا، ولم يتركوا مِن بَطارقته بَطريقًا إلاّ أهدوا لهُ هديّة، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السّهمي، وأمّرُوهُما أمْرَهُم وقالوا لهما: ادْفَعَا إلى كلّ بَطْريقٍ هديّتَهُ قبل أن تكلّموا النّجاشي فيهم، ثم قدّموا للنّجاشي هداياه، ثم سلُوهُ أن يُسلّمَهُم إليكم قبل أن يكلّمَهُم قالت: فخرَجَا فقَدِمَا على النّجاشي ونحن عندهُ بخير دارٍ، وخير جارٍ فلم يبق مِن بطارقته بطريقٌ إلاّ دفَعَا إليه هديّتَهُ قبل أن يُكَلّمَا النّجاشي".(4)

والهديّة هُنا يُقصد بها الرّشوة، حيثُ كانت استراتيجية قريش شراء بطارقة النّجاشي حتى يكونوا عَوْنًا لهم لإقناعه بتسليم المهاجرين من دون مخاطبتهم، وذلك استنادًا إلى حجج مفادُها أنّ هؤلاء الوافدين أصحاب مشاكل وأنّهم يُشكّلون خطرًا على دولته وأنّ سادات قومهم يطلبونهم وهم أعلم بهم.. قالت أمّ سلمة: "ثم قالا لكلّ بطريق منهم: إنّه قد صبا إلى بلد الملك مِنّا غلمانٌ سفهاءُ، فارقوا دين قومِهم ولم يدخلوا في دينكُم، وجاءوا بدينٍ مُبتدعٍ لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثَنَا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لنردّهُم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم، فتشيروا عليه بأن يُسَلّمَهُم إلينا ولا يُكلّمهم، فإنّ قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قربّا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه، فقالا له: أيها الملك، إنّه قد صبا إلى بلدك مِنّا غلمانٌ سُفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ مُبتدعٍ لا نعرفهُ نحنُ ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم وعشائرهم، لتردّهُم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص مِنْ أنْ يسْمَعَ النّجاشي كلامهُم، فقالت بطارقته حوله:

صدقوا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى بلادهم وقومهم، قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: فغضب النّجاشي، ثم قال: لا هَيْمُ الله، إذا لا أسلمهم إليهما، ولا أكاد قوما جاورني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَنْ سِواي حتى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم، فإنْ كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإنْ كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنتُ جِوارهم ما جاورني".(5)

إنّ هذا الموقف النّبيل مِن النجاشي يُثبتُ عَدْلَهُ وإنْصافهُ وفِطْنَتَهُ، لأنّه يعلمُ يقينًا أنّ هذه التّهم الموجّهة ضِدّ الصّحابة المهاجرين غيرُ صحيحةٍ ودون دليل، ولو كانت كذلك لما تركهم وسمح لهم بالإقامة في بلده بعد مراقبتهم لفترة، ودليلُ ذلك قوله "وأحسنتُ جوارهم ما جاورني" ومعنى ذلك أنّهم حتّى وإنْ ثبَتَتْ براءتُهُم فسيَكُونون تحت المراقبة، وأنّ النّجاشي لن يُحسن جوارهم إذا ثبتت مخالفتهم لقوانين بلاده أو تدخّلهم في شؤونها، ولهذا سكتَ بطارقته جميعًا، لأنّ النّجاشي أثبتَ لهم أنّه مُلمٌّ بأحوال هؤلاء الوافدين،ومُحيطٌ بأخبارهم بصورة دقيقة، وأنّ حُكْمَهُ عليهم هو رهينُ تصرّفاتهم ومدى احترامهم لعادات وقوانين البلاد.

وبذلك فشلت قريشٌ في تحقيق هدفها لجَلْبِ المسلمين المهاجرين رغم أنّ خُطّتها قد نُفّذت بحذافيرها، ويعود ذلك لاصطدامها بعدالة النجاشي وصَرامتهِ في إنفاذها وتطبيقها على جميع متساكني بلده دون تمييز، وهو ما أتاح للمسلمين فُرصةً ذهبيّة للكلام على الإسلام وعَرْضِ عقيدته وشريعته الغرّاء ومبادئه السّمحة، يقول الدكتور علي الصلابي: "نُفذّت خُطّة قريش بحذافيرها كاملةً، ولكنّها فَشِلَتْ؛ لأنّ شخصيّة النّجاشي التي تم جِوارها رفضَتْ أن تُسَلّمَ المسلمين قبل السّماع مِنهم، وبذلك أتاحت الفُرصة للمسلمين إلى أنْ يعرضوا قَضِيّتَهم العادلة ودينَهُم القويم".(6)

فشَخصيّةُ النّجاشي الفريدة كانت سَببًا رئيسيّا لفشَلِ خُطّة قريش، وقد أرغمت الجميع على الوقوف أمام العدالة، وهو ما يُبرِزُ رجاحَة عَقْلِ الرّجُل ورُشدِه ومُرونَتَهُ؛ يقول محمّد الغزالي: "والظاهر أنّ هذا النجاشيّ كان رجُلاً راشدًا، نظيفُ العقل، حسنُ المعرفة لله، سليمُ الاعتقاد في عيسى عبدُ الله ورسوله عليه السّلام، وكانت مرونةُ فِكْرِهِ سِرّ المعاملة الجميلة التي وفّرها لأولئك

اللاّجئين إلى مملكته، فارّين بِدِينِهِمْ مِن الفِتن.عَزّ على المشركين أنْ يجد المهاجرون مَأْمَنًا لأنفُسِهِم ودينهم، وأغرتهم كراهيّتهُم للإسلام أنْ يبعثوا إلى النجاشيّ وفدًا منهم، محمّلا بالهدايا والتّحف، كَيْ يحرم المسلمين وِدّه، ويطوي عنهم بِشْرَه".(7)

وبعد رَفْض النّجاشي الانصياع لمُرادِ عَمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومَنْ ساندهُم مِن البطارقة، طلب حُضور الصّحابة ليسألهم عن هذه التّهم الموجّهة إليهم، ويعلم حقيقتها من خلال فتح تحقيقٍ شاملٍ فيها ليُغلق بمُقتضاه قضيّة الوافدين؛ قالت أمّ سلمة: "ثمّ أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهُم، فلمّا جاءهُم رسوله اجتمعُوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرّجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما عَلّمَنَا وما أمرنا به نبيُّنا كائنًا في ذلك ما هو كائن".(8)

والمُلاحظ هُنا تشبّعُ الصّحابة الكرام بمبادئ الإسلام وثباتِهِم عليها وتمسّكِهِم بها، لاسيما مبدأ الشّورى الذي تأصّلَ في عُقولهم، وترسّخ في قلوبهم مُنذ ظهور الإسلام، ذلك الدّين الذي فتح عهدًا جديدًا يُسمَعُ فيه لجميع الآراء، وتُدرَسُ فيه كلّ المواقف دون إقصاءٍ وتمييز، فلا مجال لفَرْضِ الرّأي الواحد والأنانيّة ورَفْضِ الرّأي المخالف، وهو ما يُعزّز فُرَصَ النّجاح والتّوفيق؛يقول الدكتور علي الصلاّبي: "اجتمع الصّحابة حين جاءهُم رسُول النّجاشي وطلب منهُم الحضور، وتدارَسُوا الموقف، وهكذا كان أمْرُ المسلمين شُورى بينهم، وكلّ أمرٍ يتمّ عنْ طريق الشّورى هو أدْعَى إلى نجاحهِ؛ لأنه يضُمّ خُلاصة عُقولٍ كثيرة، وتبدو مظاهر السّمُو التّربوي في كون الصحابة لم يختلفوا بل أجمعوا على رأيٍ واحدٍ، ألا وهو أن يُعرض الإسلام كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كائنًا في ذلك ما هو كائن، وعزموا على عرض الإسلام بعِزّةٍ، وإنْ كان في ذلك هلاكهم".(9)

وهكذا أيْقَنَ جعفرٌ رضي الله عنه أنّ تلك المرحلة تقتضي مِنهُ تصدّر المشهد والاستعداد الجيّد لمواجهة دَهاء عمرو بن العاص وصاحبه، ويكمُنُ استعدادُه لهذه المواجهة في؛ عزْمِهِ على تطبيق القرار الذي أفْرَزَهُ اجتماعه بأصحابه وتشاورهم، فذهب إلى مجلس النجاشي –الذي صار محكمةً

يومها- بخُطًى ثابتةٍ، وإرادةٍ قويّةٍ، وقَلْبٍ مُفْعَمٍ بالإيمان، وعقلٍ مليءٍ بالحِكمة، ولسانٍ فصيحٍ نشَأ على ذَرَابَةِ الكلام وبراعَةِ الخِطاب وحلاوةِ المنطق..

وقد يتساءل المرء عن الأسلوب الذي سَيعْتَمِدُهُ جعفر في حواره مع النّجاشي ؟ وجوابُ ذلك؛ أنّ أسلوب جعفر اعتمد على عُنصرين رئيسيّين وهُما: التّصوير الدّقيق لبشاعة الجاهليّة وسماحةِ الإسلام، ثمّ الهجوم الإعلامي ودَحْضُ الشّبهات. وهو ما سنراه –إن شاء الله- في المطلبين الثاني والثالث، والله أعلم.

2- التّصوير الدّقيق لبشاعَةِ الجاهليّة وسَماحَةِ الإسلام

بعد وصول جعفر وأصحابه إلى مجلس النّجاشي وهُم في وَضْع اتّهامٍ، استُهِلّت محاكمتهُم بسُؤالٍ ذكيٍّ مِن النّجاشي يحوي بين طيّاته عِدّة معانٍ؛ قالت أمّ سلمة: "فلمّا جاءوه، وقد دعَا النّجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهُم حولَهُ، ثم سألهم فقال لهم: ما هذا الدّين الذي فارقتُم فيه قومكُمْ، ولم تدخُلوا به في ديني ولا في دينِ أحدٍ من هذه الأمم؟".(10)وهذا السّؤال الدّقيق في الحقيقة يُشيرُ إلى عِدّة أمورٍ منها؛

_ أنّ مضمون السّؤال كان عكسيّا أراد النجاشي مِن خلاله الجواب الذي كان يعلمُهُ مُسبقًا، بمعنى أنّ عمرو وصاحبه قد وجّها هذا السؤال سابقًا للنجاشي بهدف إقناعه أنّ هؤلاء النّفر يُشكّلون خطرًا على أمْن بلده وتهديدًا للسّلم الاجتماعي لدولته، وذلك عند قولهم له بأنّهم "فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ مُبتدعٍ لا نعرفهُ نحنُ ولا أنت"، فكانت حُجّتهم أنّ هؤلاء قد جاؤوا بدِينٍ مُبتدعٍ مجهولٍ لا نعلم أسراره وأهدافه وغاياته، ورغم عدم معرفته بتفاصيل هذا الدّين غيْرَ أنّ النجاشي قد رأى أثره في أفعالهم وأخلاقهم وممارساتهم وعلاقاتهم، فعَلِمَ حينها أنّهم أهلُ خيرٍ بعيدون عن إحداث المشاكل والقلاقل، ولهذا أراد أن يُثبتَ للجميع أنّ دينَ هؤلاء الوافدين لا يُمكن أن يكون خطرًا على دولته فأعاد لهم نفس السّؤال ليَعْلم هو وجميع الحاضرين مصدر خَيْرِيّتهِمْ وحُسْنِ أخلاقهم واستقامتهِم، ويَعْرف الجميع تفاصيل هذا الدّين الجديد.

ـ أنّ صيغة هذا السّؤال ومضمونه وطريقة طرحه تُفيد بأنّ النّجاشيّ كان يغْلُبُ على ظنّهِ براءةُ جعفرٍ وأصحابه، لأنّهم كانوا تحت مراقبته ولم يجد فيهم إلاّ الاستقامة والاحترام والالتزام بقوانين بلده، ولهذا سمح لهم بالإقامة ولم يقْبل التّهم الموجّهة إليهم قبْلَ سماعهم كما أرادتْ قريش، وهذا مِن عدْله وإنْصافهِ وفِطْنته.

ثمّ تقدّم جعفرٌ ووقَفَ أمام الجميع ثابتًا مُطمئِنًا لا تغشاه الرّهبة، ولم يسكُنه الخوفُ وهو يرى أمامه داهِيَةَ العرب عَمْرو بن العاص وصاحبه يجلسان في حُظْوةِ النّجاشي ملك الحبشة والأساقفةُ محيطون بهم وقد نشروا مصاحفَهُم، وجميعهم يُحدّون النّظر إليه ينتظرون جوابه على السؤال؛ غير أنّه رضي الله عنه كان حاضِرَ الذّهن، ثاقِبَ الفَهم، قَويّ الحُجّة، له قُدرةٌ عجيبةٌ على ترتيب الأفكار حسب قُوّتها، دقيقٌ في اختيار ألفاظه وعباراته وِفْقَ المقام المطلوب والموضع المناسب، حريصٌ على حُسْن إيصال المعلومة بالدقّة المطلوبة، وكُلّ ذلك في وقتٍ وجيزٍ مع صبرٍ ولينٍ ورباطة جأش، يقول أحمد غلوش: "ولم يفقد جعفر رضي الله عنه رباطة جأشه حينما رأى وفد قريش يجلسون مع النّجاشي، ويوجّهون له الأسئلة في تحدّ واستفزاز، وإنما كان مُتخلّقًا بخُلُق الإسلام، يردّ بما علّمه الله، ويجيب وِفق ما سمع من رسول الله، واثقا في عُلُوّ الحق وانتصاره، وقد كان له ما تمنّى. إنّ الدعوة في المجتمعات غير الإسلامية تحتاج إلى مثل هذه النّماذج الرّائدة مِن الدّعاة المخلصين". (11)

ولنَنْظُرِ الآن في جوابهِ لنَقِفَ على بعض مميّزات أسلوبه وأبرز فوائده؛فقد أجابَ النّجاشيّ بقوله: "أيّها الملك؛ كُنّا قومًا أهْلَ جاهليّة، نعبُد الأصنام، ونأكُل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوار، ويأكلُ القويّ مِنّا الضّعيف، وكُنّا على ذلك حتى بعث الله تعالى إلينا رسولاً مِنّا، نعرفُ نسبَهُ وصِدْقَهُ وأمانتَهُ وعفافَهُ، فدعانا إلى الله تعالى لنُوحّدهُ ونعبدَهُ، ونخلع ما كُنّا نعبدُ نحنُ وآباؤُنا مِنْ دُونهِ مِن الحجارة والأوثان، وأمرَنا بصِدْق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلة الرّحِم، وحُسن الجوار، والكفّ عنِ المحارم والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقَوْلِ الزّور، وأَكْلِ مالِ اليتيم، وقَذْفِ المحصنة، وأمَرَنا أنْ نَعبُد الله وحدهُ ولا نُشرك بهِ شيئًا، وأمرَنا بالصّلاة والزّكاة والصّيام

-قالت: فعدّدَ عليه أمور الإسلام- فَصَدّقناهُ وآمنّا به واتّبعناه على ما جاء به مِنَ الله عزّ وجلّ".(12)

إنّ السّامع لهذا المقطع مِنْ خِطاب جعفر رضي الله عنه يُدْرِكُ أهميّة وجود مرجعيّات دعويّة وقادة أكفّاء تقود المجال الدّعوي، وتؤطّر الشّباب لذلك، وتُحيي المنهج النّبوي الذي سار عليه السّلف في تبليغ الدعوة بالحِكمة والموعظة الحسنة، وإنّ المتأمّل في أسلوب جعفر الذي اعتمده يُلاحظُ عدّة مسائل مهمّة وقضايا دقيقة تخُصّ مجال الدّعوة عمومًا، نذكر من أهمّها:

ـ أنّه استهلّ الكلام بقوله للنجاشي"أيُّها الملك": وهو اختيارٌ موفّقٌ لهذا المصطلح الدارج في عصره، والدّال على تقديره للملك واحترامه له وأهمّ من ذلك؛ إظهارُ اعتقاده أمام الجميع بأنّه هُو ملِكُ تلك الدّيار وقائدُها وحاكمُها، وأنّه لجأ إليه مضطرًّا وقد التزم بقوانين بلده وأعْرَافِها، وهذا مِن باب إنزالِ النّاس منازلهم وحِفظ مقاماتهم في كنف الاحترام البعيد عن التملّق، وهذه العِبارة وحدها تكفي لإسقاط التّهم الموجّهة إلى جعفرٍ وأصحابه، لأنّها تُثبِتُ إيمانهم بسُلطة النّجاشي على أرْضِهِ، وقد رأى أثَرَ ذلك حين هاجروا الهجرة الأولى والهجرة الثانية أيضًا قُبيل قدوم عمرو وصاحبه، ولو كانوا غير ذلك لما سمح لهم بالبقاء فيها يومًا واحدًا.

ـ ثمّ واصل جعفر كلامَهُ بالحديث عن بشاعة الجاهليّة وتعاستها، وَقَام بعَرْضِ صُورٍ دقيقةٍ عنها؛ منها قوله: "كُنّا قومًا أهْلَ جاهليّة، نعبُد الأصنام، ونأكُل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجوار، ويأكلُ القويّ مِنّا الضّعيف". والملاحظُ هُنا أنّ جعفرًا ابتدأ بالكلام على العقيدة الفاسدة التي كان عليها أهل الجاهلية وهي عبادة الأصنام مِن دون الله، وإنّ محاربة هذا المعتقد الفاسد يُعدّ قاسمًا مشترَكًا بين جميع الديانات السّماويّة وهي جوهر رسالات الأنبياء والرّسل. ثمّ ذكر صُورًا من سوء أخلاق أهل الجاهليّة لدرجةٍ؛يتقزّز منها السّامع، ويشمئزّ صاحب الفِطرة السّليمة، وتنفطرُ لها القلوب الحيّة، مِثل؛ أكل الميتة والفواحش وقطع الأرحام وإساءة الجوار وغيرها مِن الأخلاق السيّئة المنتشرة بين العرب آنذاك، والملاحَظ هُنا أنّ جعفرًا كان دقيقًا في اختيار هذه القضايا العقديّة والأخلاقية التي يتّفقُ الإسلام والنصرانيّة على ذمّها، لا سيّما فيما يتعلّق بالأخلاق التي تحضى بمكانة رفيعة عند النصارى.

ـ ثمّ تكلّم جعفر عن اصطفاء الله تعالى لنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم وتكليفه بالرّسالة الخاتمة والمنقذة، فقال: "حتى بعث الله تعالى إلينا رَسُولاً مِنّا،نعرفُ نسبَهُ وصِدْقَهُ وأمانتَهُ وعفافَهُ"، وحرف "حتّى" يُفيدُ انتهاء الغاية وإعْرابهُ هُنا حرفُ ابتداءٍ وما بعده جملة جديدة استئنافيّة. إذ انتقل جعفر من الكلام عن حياة الجاهلية إلى الكلام عن نبوّته صلى الله عليه وسلّم، وكان دقيقًا جِدّا في هذا الموضع؛ حيث انتقى أربعة أوصافٍ جامعةٍ للنبيّ صلى الله عليه وسلّم وهي النّسبُ والصّدق والأمانةُ والعفافُ، وهذه الأوصاف نفسُها يشتركُ فيها الأنبياء والرّسل، ومنهم عيسى عليه السّلام الذي نازعه اليهود في بعضها؛ فاتّهموا والدته مريم العذراء بالزّنا، وقدحوا في نسَبِهِ وعَفَافِهِ، وإنّ اختيار جعفرٍ لهذه الأوصاف بالذّات كان ذكيّا إلى أبعد الحدود، لأنّه حرّكَ وِجْدان النّجاشي وأساقفته، وجعلهم يعيشون تلك اللّحظات الصعبة التي مرّ بها المسيح عليه السّلام، والظّاهر أنّ جعفرًا كان يعلم عن قوّة عاطفة النّصارى وسُرعة تأثّرهم بمثل هذه القصص والرّوايات، وقد قال الله تعالى في أتباع عيسى عليه السّلام: "وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً".(13)

ـ ثمّ شرع في ذِكر أصول الإسلام مُبتدأً بالأصل الأوّل وهو عقيدةُ التّوحيد، فقال: "فدعانا إلى الله تعالى لنُوحّدهُ ونعبدَهُ، ونخْلَعَ مَا كُنّا نعبدُ نحنُ وآباؤُنا مِنْ دُونهِ مِنَ الحِجارةِ والأوثان"، وفي ذلك إشارةٌ إلى أهميّة العقيدة لاسيّما في دعوة غير المسلمين، ورُبّما كان جعفر يَعْلمُ بِوُجُودِ بعض النّصارى الموحّدين الذين لا يُؤمنون بعقيدة التّثليث،والمعلوم أنّ النصارى آنذاك ليسوا على عقيدة واحدةٍ؛ بعد بروز خلافٍ بينهم في مجمَعْ نِيقِيَا المشهور (325م)،فمِنْهم مَنْ بَقِيَ على التّوحيد وأغلبهم آمنَ بالتّثليث، والمعروف على النّجاشي اعتقاده بتوحيد الله الخالص ، ورغم كلّ ذلك لا بُدّ أن نُسجّل حُسن تناول جعفر لهذه القضايا العقدية الحسّاسة؛ فهو لمْ يذكر النقاط الخلافية بين الإسلام والمسيحية في موضوع العقيدة، بل اكتفى بالجانب المشترك بينهما في ذمّ عبادة الأوثان، وهذا الأمر لا اختلاف فيه بين الإسلام والنّصرانية بَلْ يُثبتُ أنّهُما في وادٍ، وأنّ دينَ قريشٍ في وادٍ آخر بعيدٍ عنهما.

ـ ثمّ انتقل جعفر بعدها إلى الكلام عنِ الأصلين الثاني والثالث للإسلام، وهُما؛ الأخلاق والشّريعة،حيث ذكَرَ عددًا مِنَ القضايا الأخلاقية والتّربويّة التي دعا إليها الإسلام، ثمّ ذكَرَ بعض

التشريعات التعبديّة التي أمرَ الله بها، فقال رضي الله عنه:"وأمرَنا بصِدْق الحديث، وأداءِ الأمانة، وصِلَةِ الرّحِم، وحُسنِ الجِوار، والكَفّ عنِ المحارم والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقَوْلِ الزّورِ، وأَكْلِ مالِ اليتيم، وقَذْفِ المحصنة، وأمَرنا أن نعبُد الله وحدهُ ولا نُشرك بهِ شيئًا، وأمرَنا بالصّلاة والزّكاة والصّيام".

واللاّفتُ في كلامه أنّه أعاد ذكر العقيدة وعرّج على قضيّة الشرك بالله الذي يرفضه الإسلام والمسيحية معًا وذلك في قوله "وأمرنا أن نعبُد الله وحده ولا نُشرك به شيئًا"،كما أنّه قَدّمَ ذِكْرَ الأخلاق على بعض التشريعات المتعلقة بالعبادة كالصلاة والزكاة، وسببُ ذلك –والله أعلم– أنّ أخلاق الناس تُعطي صورةً عن مدى تأثير تلك العقيدة والعبادات فيهم، فأخلاق المرء هي مرآةٌ تعكسُ إيمانه وخشيته ومراقبته لله تعالى. فالأخلاق الحسنة مَدْعاةٌ لاحترام الناس وإنزال صاحبها منزلةً رفيعةً عندهم.

كما تجدُرُ الإشارة هنا إلى أنّ عمرو بن العاص كان يعلم جيّدا صِحّة ما ذكَرهُ جعفر وصِدْق هذه الأوصاف في حقّ النبي صلى الله عليه وسلم، ولوْ كان غير ذلك لناقشه فيها، ولكنّه سكت وبدأ يبحثُ عن حيلة أخرى يحاولُ من خلالها إقناع النّجاشي بتسليم جعفر وأصحابه، لكنّ النجاشي كان فَطِنًا ومُلِمّا بكلّ عناصر المحاكمة؛ يستمعُ باهتمامٍ بالغٍ إلى كلام جعفر المقنع ويُتابع سكوت عَمْرو المُلْفِت.

والمستفاد أيضًا من كلام جعفر ترتيبه العجيب للأفكار والحجج حسب قوّتها والموضع المناسب لها، وقدرته الفائقة على تحريك وجدان الطرف المقابل والوصول إلى قلبه والتأثير في عاطفته، فأحسن بذلك الأسلوب تصوير سماحة الإسلام وتناسقه التّام مع فطرة الإنسان، مُستندًا في ذلك إلى حِكْمتهِ ورجاحةِ عقلِه وبلاغتِه وفصاحتِه مع ما فتح به الله عليه، يقول أبو الحسن النّدوي:"إنّ كلام جعفر بن أبي طالب أمام ملك الحبشة، وتصويره للإسلام، كلامٌ حكيمٌ قد جاء في أوانه ومكانه، وقد دلّ على بلاغة صاحبه العقلية، قبل أن يدلّ على بلاغته العربيّة البيانيّة، ولا يعلّل ذلك إلّا بإلهامٍ من الله وتأييد هذا الدين الذي أرد الله أن يتمّ نوره، وأنْ يظهره على كلّ دين، ويدلّ كذلك على سلامة الفطرة، ورجاحة العقل، اللتين فاق فيهما بنو هاشم قريشًا، وفاقت

فيهما قريش العرب كلّهم، فقد فضّل جعفر أن يكون جوابه حكاية حال لما كان عليه أهل الجاهلية في الجزيرة العربية، ولما آل إليه أمرهم بعد ما أرسل الله رسوله فيهم، ودعا إلى الله وإلى الدّين الحنيفي السمح، ومكارم الأخلاق، وآمنوا به واتّبعوه، وحكاية الحال- خصوصا إذا لم يجانب فيه صاحبها الصواب- أبعد شيء عن المناقشة والمناظرة، وأقدر شيء على غرس المعاني المقصودة، وتحقيق الأهداف المنشودة، والتهيّؤ للتأمّل والإنصاف وحُسن الاستماع".(14)

لقد نجح جعفرٌ رضي الله عنه في رسم فكرة صحيحة عن الإسلام في قلب النجاشي وعقله، فكان خطابه مُتماسكًا يمتازُ بالحِكمة، والمرونة، والتعقّل، وبُعد النّظر، والصّدق، وقوّة الحجّة، وهو ما يُثبتُ نجاح جعفر الباهر في مهمّته، ليكون حكيمًا بالمعنى الدّقيق للكلمة، يقول ابن القيّم: "فالحِكمة إذًا: فِعْلُ ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي".(15) وهو ما قام به جعفر رضي الله عنه في حواره مع النجاشي، ولا غرابة في ذلك فهو خرّيج المدرسة النبويّة التي تعلّمَ فيها وتربّى، وتشبّع بمبادئ الإسلام السّمحة، وقِيَمِه النّبيلة، وأخلاقه الفاضلة، ومُثُلِهِ العُليَا، فكان جعفر في حواره نموذجًا للمسلم المحبّ لدِينه والمؤمن الثّابت على عقيدته، والدّاعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما في قوله سُبحانه: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"(16).

وهذا هو المنهج القرآني الذي توخّاه جعفر في حِواره فلمْ يتناول خصمه بالجرح ولا السبّ ولا حتى الإساءة إليه في شخصه، بلْ اكتفى بمناقشة معتقده الوثني وفِكْرِهِ الجاهلي، ونجح في هَدْمِ تلك الأفكار والمفاهيم بالدّليل القاطع والبرهان السّاطع، حيثُ لم يزدْ عن وصف الحال الذي كانت عليه العرب في الجاهليّة ومخالفتها للفطرة الإنسانيّة، إلى أنْ كُلّف رسول الله صلى الله عليه وسلّم بتبليغ الرّسالة، حاملاً معه نظرةً إصلاحيّة متكاملة ودقيقة وشاملة لكلّ نواحي الحياة.

فهَلْ سيُواصلُ جعفر حِواره بنفس المنهج والأسلوب أم أنّه سيعتمد على وسائل أخرى للدّفاع؟

3- الهُجوم الإعلامي ودَحْضِ الشّبهات

لم يَكْتَفِ جعفر بتصوير بَشاعة الجاهليّة وبيان سماحة الإسلام مِن خلال عَرْضِ أصوله الثلاثة: العقيدة والشريعة والأخلاق، بَلْ واصل الدّفاع عن دينِه ومُعتقدِه مُستندًا إلى أقوى وسائل الدّفاع وهي الهجوم، حيثُ انتقل مِن مرحلة الوَصْف وبيانِ حقيقةِ الجاهلية إلى مرحلة الهجوم مِن خلال فَضْحِ انتهاكات قريش لحقوق الإنسان وما تُمارسه من ظُلْمٍ وقَهرٍ وتعذيبٍ مِن دون وَجْهِ حقّ، وكُلّ ذلك بِسَبَبِ تمسّكهِم بدينهم ومعتقدهم القريب جدّا من النصرانيّة التي يدينُ بها النجاشي. ولذلك اختار جعفر شَنّ هُجومٍ إعلاميّ ضِدّ ممثّلي قريش، فشَرَعَ في كَشْفِ عَوارِهم، وأظْهَرَ قُبْحَ شَنارِهِم،مِن خلال عَرْضِ بعض أفعالهِم الشّنيعة تجاه ضِعاف المسلمين،وممارساتهم الوحشيّة المرفوضة عند المسيحيّة التي يَدينُ بها النّجاشي.

ويبرُزُ ذلك حينما واصَل جعفر رضي الله عنه كلامه قائلاً:"فصَدّقناه، وآمنّا به، واتّبعْناهُ على ما جاء بهِ مِنَ الله عز وجلّ، فعَبَدْنَا الله وحدَهُ فلم نُشرك به شيئًا، وحَرّمْنَا ما حَرّم علينا، وأحْلَلْنَا ما أحَلّ لنا، فعَدَا علينا قومُنا فَعذّبُونا وفتنُونا عَن دينِنَا ليرُدّونا إلى عِبادة الأوثان مِنْ عِبادة الله عزّ وجَلّ، وأنْ نَستحِلّ ما كُنّا نستحلّ مِنَ الخبائث، فلمّا قهرُونا وظلمُونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين دينِنا، خرجنا إلى بلادك فاخترناك على مَنْ سواك، ورَغِبْنَا في جِوارِك، ورَجَوْنَا أنْ لا نُظْلَمَ عِنْدك أيّها الملك".(17)

والمستفاد مِن هذا السّبك العجيب للمعاني قُدرةُ جعفرٍ الفائقة على إقناعِ النّجاشي، ونجاحُه الباهر في جَلْبِ انتباه الأساقفة وجُلّ الحاضرين في المجلس، فما ذكرَهُ في هذه الفقرة هو ما يُشبهُ اليوم تلك التّقارير الإعلاميّة التي تبثّها القنوات الإخباريّة العالميّة، نظرًا لقُوّة تأثيرها، وثِقَل مضمونها، ودِقّة أسلوبها في طَرْحِ قضيّة المسلمين لتُصبح قضيّة رأي عام لدى سُلُطات الحبشة التي أضحى ميزانُ عدالتها في اختبارٍ مصيري، وذلك بعدما تبيَّنَ أنّ الأمر خطيرٌ أكثر ممّا أرادَ عَمْرو وابن أبي ربيعة تصوير هو التّقليل مِنْ شأنه، فالقضيّة الآن مَسّتْ أعماق النّجاشي وأساقفته وحرّكَتْ وجدانهم وهَيّجَتْ عاطفتهم،ووضَعَتْهُم بيْنَ مِطرقة الوفاء لنَصرانيّتهم وحُبّهِم للمسيح وأخلاقه ورحمته،وبين سِنْدان إرْضاءِ قريشٍ والتنكّر لمعتقداتِهم، ورغم أنّهم سيختارون الوفاء لمبادئهم

إلاّ أنّ خِطاب جعفر قد أَثّرَ فيهم تأثيرًا بالغًا، وجعل الجميع يُراجعُ موقفه، ويُعيدُ النّظر في المسألة مِن جديدٍ، ويُدقّق فيها.

لقد نجح جعفر في حَشْرِ عَمْرو وصاحبه في الزاوية بعدما أصابهم عجزٌ حال دون ردّهم على تقريره الإعلاميّ الدّقيق الذي كشفَ الوجه الحقيقي للحياة الجاهليّة التي حاولت قريش إخفائه،ونَفَضَ الغُبار عن ممارساتها الوحشيّة مع مُواطنيها،وأعْلى راية الحقّ وأظْهرَ عَدْلَ قضيّة المسلمين المضطهدين، وأجْبَرَ النّجاشي وأساقفته على الاستماع له باهتمام بالغٍ، بَلْ والتّعاطُف معه. ولعلّ مِن أهمّ الأسباب التي ساهمت في نجاحِ جعفر تلك الخطّة المحكمة التي اتّبعها؛ والمتمثّلة في وصف بشاعة الجاهليّة وسماحة الإسلام لهدف جَلْبِ اهتمام النجاشي وأساقفته ومحاولة كَسْبِ قلوبهم، ولـمّا نجح في ذلك انتقل إلى الخطوة الموالية فقام بترتيب الأفكار والحجج ترتيبًا تصاعُديّا وِفْقَ قُوّتها ومدى تأثيرها، مع حُسْن انتقاء العبارات الأكثر إظْهارًا للمعنى والأدقّ وَصْفًا للواقع والأقوى تأثيرًا على السّامع، ويبْرُزُ ذلك في تتابع هذه الألفاظ: "فعَدَا علينا قومُنا فعذّبُونا وفتنُونا عن دينِنَا..فلمّا قهرُونا وظلمُونا وضيّقوا علينا وحالوا بَيْنَنَا وبَيْنَ دِينِنا.."(18).

إنّ هذا التّسلسل البديع في تصوير أفعال قريش القبيحة، وهذا النّسَقِ السّريع في إخراجها وإبرازها للحاضرين؛ لهُوَ أشبهُ بالقصف الإعلامي الذي لا يُبقي ولا يذر، نظرًا لقُوّة عِباراته، وصَلابة ألفاظه، وغزارةِ معانيه، وتأثيره المباشر على السّامع الذي يُحاول تخيّل بشاعة هذه الوقائع التي يتحدّثُ عنها جعفر، حيثُ أثبتَ لهم أنّ قريشًا تعيشُ حياةً لا تختلف عن حياة الغاب، فالقويّ فيها يأكل الضّعيف مِن دون رحمةٍ ولا شفَقة ولا رأْفة، وأنّ ما تَدينُ به قريشٌ بعيدٌ جِدّا عن النّصرانيّة والإسلام.

وإنّ المتأمّل في الهجوم الإعلامي الذي شَنّهُ جعفر ضدّ ممثّلي قريش يُلاحظُ أنّه ارتكز على عُنصرين أساسيّين، يتمثّلُ العنصر الأوّل في عَرْضِه لبعض أفعال قريش الشنيعة التي تشتركُ كلّ الديانات السّماويّة في ذمّها واستنكارها لاسيّما المسيحيّة، وأمّا العنصر الثاني فهو تصويره للنّجاشي في صورة المنقذ والوفيّ لمسيحيّته الحقّة، ولمبادئه التي أقام عليها دولته ومُلكه وحُكْمه ولاسيّما مبدأ العدل، ولقد كان جعفر مُوفّقًا في تبليغ ذلك، حيثُ وَضع النجاشي في المكانة التي

يستحقّها لأنّه كان "لا يُظلمُ عِندهُ أحد" كما جاء في الحديث الآنف، وبعدما ذكَرَ أفعال قريش القبيحة ختم جعفر كلامه بقوله: "فلمّا قهرُونا وظلمُونا وضيّقوا علينا وحالوا بَيْنَنَا وبَيْنَ دِينِنا خَرَجْنَا إلى بلادِك فاخترناك على مَنْ سِواك، ورَغِبْنَا في جِوارِك، ورَجَوْنَا أنْ لا نُظْلَمَ عِنْدك،أيّها الملك".(19)

بهذه الكلمات اللّطيفة ختمَ جعفر كلامه مُعلنًا لجميع الحاضرين أنّ السّبب الرئيسيّ الذي جعلهم يُهاجرون إلى الحبشة، هو الهروبُ بدِينهِم إلى بلدٍ اشتهر مَلِكُهُ بالعدالة ورَفْعِ الضّيم، ودَفْعِ الظّلم عن الناس،حتّى عُرف بذلك وصَار قِبلة المظلومين ومُغيث اللاجئين ومَلاذَ المضطهدين، وهكذا صوّر جعفر النجاشي ونظامه وبلاده ووضعهم في مقامٍ لا رجوع فيه إلاّ إذا خانوا أصول ديانتهم ومبادئهم، غَيْرَ أنّه لم يُبْقِ لهم مجالاً لذلك،وهُنا تكمنُ قوّة الهجوم الإعلاميّ مِن خلال تدرّج جعفر في الكلام على أفعال قريش القبيحة وممارساتها الوحشيّة كالتعذيب والتّشريد والقتل.. وُصُولاً إلى وَصْفهِ للنّجاشي بتلك العبارات بعدما جيّشَ عاطفته، ونجح في كَسْبِ قلبه وإقناعه ببراءته هو وأصحابه مِن الاتّهامات الموجّهة إليهم، وخلاصتها أنّهم يُشكّلون خطرًا على دولتهِ مِن خلال تدخلّهم في شؤونها الدّاخليّة سِياسيّا وأمنيّا واجتماعيّا، غير أنّ هذه الادّعاءات تهاوتْ أمام قُوّة الحجّة ورجاحة العقل وبراعة الخطاب التي تحلّى بها جعفر ونجح في إسقاطها ودَحض الشّبهات المتعلقة بها.

ومِن أبرز الدّلائل على حِنْكة جعفر في الكلام، وبراعة أسلوبه في الخطاب، وقدرته على الإقناع؛ تلك الإشارة الذكيّة التي ختم بها كلامه، وهي عبارة "أيّها الملك"، التي تحدّثنا عنها في المطلب الثاني وذكرنا ما تحويه هذه اللفظة مِن معاني الاحترام والتّقدير للنّجاشي وإظهار إيمانهم بسُلطتهِ الكاملة على أرض الحبشة ومُلْكَهُ التّام لها وسَيطرته الشاملة عليها، وأنّهم إنّما لجئوا إليه واختاروه على مَنْ سِواه لوجود خصلةٍ تُميّزه عن باقي الملوك ألا وهي إقامة العدل ومحو الظلم مَهْمَا كان مصدره، وإنّ هذا المقام الذي وجد فيه النجاشي نفسه يَمْنعُه حتّى مِن مجرّد التّفكير في التراجع عن إنفاذ العدالة ودفع الظلم عن هؤلاء الوافدين إليه والذين لم تثبُتْ تجاههم أيّ تهمة،

لاسيّما بعد سماعه لخطاب جعفر باهتمام وتأثّره به وتصديقه له. وهو من أهمّ نتائج هذا الهجوم الإعلامي.

ذلك أنّ النّجاشيّ لمّا رأى تقاربًا بين الإسلام والمسيحيّة في العقيدة والشريعة والأخلاق؛ طلب مِن جعفر أن يقرأ عليه شيئًا مِن القرآن الكريم فقال له: "هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ. فقرأ عليه صدرًا مِنْ كهيعص. قالت: فبكى والله النّجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إنّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فوَالله لا أُسَلّمُهُمْ إليكُم أبدًا ولا أكاد".(20)

لقد كان جعفر رُجلاً حصيفًا جَيِّد الرَّأْي مُحْكَم العَقل، حاضِر الذّهن، جاهزًا لكلّ طارئٍ، دقيقًا في إجاباته، حتّى إنّه كان كلّما سنَحَتْ له فرصة الكلام يحاول جاهدًا استثمارها أقصى ما يُمكن لتبليغ الفكرة بالدقّة المطلوبة مع الحرص على سُرعة تأثيرها في السّامع، فلا يكادُ ينطقُ كلمةً إلاّ وزاد حُبّ مستمعه له واطمأنّ إليه قلبه وارتاحت له نفسه، ومن دلائل حصافته حُسْنُ اختياره للآيات التي قرأها على النّجاشي وهي من سورة مريم التي تحدّثت في جانبٍ كبيرٍ منها عن قصّة مريم العذراء البتول وابنها المسيح عليه السلام وطريقة ولادته المعجزة وموقف الناس منها وغيرها من الأحداث والوقائع التي لا يسمعها نصرانيّ إلاّ وتأثّر بها، إضافة إلى التقارب الكبير في مضمون القصة بين الإسلام والمسيحيّة فَكِلَيْهِمَا "يخرج من مشكاة واحدة" كما قال النجاشي.

ولمّا حقّق جعفر نجاحًا باهرًا في حِواره مع النّجاشي وردّه اللاّذع على الاتهامات والشّبهات التي استهدفته هو وأصحابه، وهُجومِه على مُعتقدات قريش الباطلة وأفعالها الشنيعة وممارساتها البشعة، شَعُرَ عَمرو بالخيبة ولم يتقبّل مَرارة الفشل ونَمَتْ فيه روح الانتقام، فشَرَعَ في إعداد مَكيدةٍ أخرى للمسلمين المهاجرين؛قالت أم سلمة رضي الله عنها:"فلمّا خرجَا مِنْ عِندِه قال عَمْرو بن العاص: والله لآتيّنهُ غدًا أعيبهُم عِندهُ، ثم أستأصِلُ به خضراءهم. قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتْقَى الرّجلين فينا: لا تَفْعَلْ؛ فإنّ لهم أرحامًا وإنْ كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنّهُ

أنهم يزعمون أنّ عيسى ابن مريم عَبْدٌ. قالت: ثمّ غدا عليه الغدُ. فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عَظيمًا، فأرسِلْ إليهم فَسَلْهُمْ عَمّا يقولون فيه".(21)

والملاحظ هُنا أنّ عَمْرو بن العاص أراد استعمال أسلوبٍ مُشابهٍ لأسلوب جعفر في انتقاء المواضيع المؤثرة في الرأي العام النّصراني، حيثُ اتّهم جعفرًا وأصحابه بأنّهم ينتقصون مِنْ قَدْر عيسى عليه السّلام مُدّعيًا أنّهم يقولون إنّه "مجرّد عَبْد" لا أكثر، والمعلوم أنّ أيّ نقطة تمسّ مِن شخصيّة المسيح تُجبر النّصارى على التوقّف عندها والبحث فيها والتحقّق مِنْ صِدْقها، ولا يفوتنا تسجيل موقف عبد الله بن أبي ربيعة هُنا؛ حيث رَفَضَ فكرة عَمْرو الانتقاميّة وعارضَها وذَكّره بأنّ لهم أرْحَامًا حتّى وإنْ خالفونا، وهذه لَعَمْري قاعدةٌ جليلةٌ في آداب الحوار والخلاف يفتقُدها كثيرون اليوم للأسف.

ثمّ أرسل النّجاشي في طلب جعفر وأصحابه ليسْألهم عن هذا الموضوع المستجدّ، والذي أعاد إليهم مشاعر الخوف بعدما ظنّوا أنّ المحنة قد انتهتْ، قالت أم سلمة: "فأرسلَ إليهم يَسْألهُم عنه قالت: ولم ينزل بِنا مثلُها، فاجتمع القوم. فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم كائنًا في ذلك ما هو كائنٌ، فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبيّنا صلى الله عليه وسلم هو عبدُ الله ورسولُه وروحُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرَبَ النّجاشيّ يدهُ على الأرض، فأخذ مِنها عُودًا. ثم قال: ما عَدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرَتْ بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإنْ نخرتم والله اذهبوا فأنتم سِيُومٌ بأرضي.، والسّيوم: الآمنون، مَنْ سَبّكُمْ غُرّمْ، ثمّ مَنْ سبّكم غرّم، ثمّ منْ سبّكم غرّم، فما أحبّ أنّ لِي دَبْرَ ذَهَبٍ وأنّي آذيْتُ رَجُلاً مِنكُم، والدَّبْرُ بلِسان الحبشة: الجبَلُ، رُدّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله منّي الرّشوة حين رَدّ علَيّ مُلْكي فآخُذَ الرّشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه قالت: فخرجَا مِنْ عنده مقبوحين مردُودًا عليهِما ما جاءا به، وأقمنا عندَهُ بخيْرِ دارٍ مع خيْرِ جارٍ".(22)

إنّ هذه الواقعة لم تزِد المسلمين إلاّ ثبَاتًا على مبادئ الإسلام، وإيمانًا راسخًا بعقيدة التوحيد، فبمجرّد وصول رسول النجاشي لدعوتهم اجتمعوا يتحاورون ويتشاورون ويتبادلون الآراء حتّى يظهر لهم الرّأيُ السّديد فيتّبعونه، ولهذا اتفقوا على إجابة النجاشي بما علّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم مَهْمَا كانت التّبعات والعواقب، وأمّا جعفرٌ رضي الله عنه فقد أثبَتَ مرّةً أخرى براعته في القيادة وقُدرته الفائقة على الإقناع ودَحْضِ الشّبهات، واكتسابه لجلّ مهارات التّواصل في شتّى المجالات السياسية والإعلاميّة والدّعوية، يقول الدكتور علي الصلابي:"كان ردّ جعفر على أسئلة النجاشي في غاية الذكاء، وقِمّة المهارة السياسية، والإعلامية والدّعوية، والعقدية، فقام بالتالي:

ـ عدَّد عيوب الجاهلية، وعرضها بصورة تنفّر السامع، وقصَدَ بذلك تشويه صورة قريش في عين الملك، وركّز على الصفات الذميمة التي لا تنتزع إلاّ بنبوة.

ـ عَرضَ شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المجتمع الآسن المليء بالرذائل، وكيف كان بعيدًا عن النقائص كلها، ومعروفًا بنسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فهو المؤهّل للرسالة.

ـ أبْرزَ جعفر محاسن الإسلام وأخلاقه التي تتفق مع أخلاقيات دعوات الأنبياء، كنبذ عبادة الأوثان، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكون النجاشي وبطارقته موغلين في النصرانية فهم يدركون أن هذه رسالات الأنبياء, التي بعثوا بها من لدن موسى، وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

ـ فضحَ ما فعلتهُ قريش بهم؛ لأنهم رفضوا عبادة الأوثان، وآمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وتخلقوا بخلقه.

ـ أحسن الثناء على النجاشي بما هو أهله، بأنه لا يُظلم عنده أحد، وأنه يقيم العدل في قومه.وأوضح أنهم اختاروه كهفًا من دون الناس، فرارًا من ظلم هؤلاء الذين يريدون تعذيبهم؛ وبهذه الخطوات البينة الواضحة دحر بها بلاغة عمرو وفصاحته، واستأثر بلب النجاشي وعقله، وكذلك استأثر بلب وعقل البطارقة, والقسيسين الحاضرين.

ـ وعندما طلب الملك النجاشي شيئًا مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم جاء صدر سورة مريم في غاية الإحكام والروعة والتأثير، حتى بكى النجاشي، وأساقفته، وبلّلوا لحاهم ومصاحفهم من الدّموع، واختيار جعفر لسورة مريم، يظهر بوضوح حكمة وذكاء مندوب المهاجرين، فسورة مريم تتحدّث عن مريم وعيسى عليهما السلام.

إنّ عبقريّة جعفر رضي الله عنه في حُسن اختيار الموضوع، والزمن المناسب، والقلب المتفتح، والشّحنة العاطفية، أدّت إلى أن يربح الملك إلى جانبه".(23)

4- مكانةُ الحِكمة في أسلوب جعفر الدّعوي

لقد تعدّدت تعريفات العلماء للحِكمة تَبعًا لاختلاف المقامات؛ قال الحافظ ابن حجر: "واختُلف في المُراد بالحِكمة هُنا فقيل: الإصابةُ في القول. وقيل: الفَهْمُ عَنِ الله، وقيل ما يشهَدُ العقْلُ بصِحّتهِ، وقيل نورٌ يفرَّقُ به بين الإلهام والوسواس. وقيل: سُرعةُ الجواب بالصّواب. وقيل:غير ذلك".(24) فمَنْ تحلّى بخَصْلةٍ من هذه الخِصال فقد أوتيَ نصيبًا مِنَ الحكمة، فَضْلاً عن التحلّي بها كُلّها ولهذا قال سُبحانه: "يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً".(25) وقد فَسّرَ الإمام مجاهد الحكمة هُنا بأنّها "الإصابة في القول والفعل"(26)وقال إبراهيم النّخعي: "هي معاني الأشياء وفهمها".(27)

وإنّ المتأمّل بِدِقّة في حِوار جعفر مع النّجاشي وأسلوبه المتين في تناول قضايا الدّعوة، يُلاحظُ اتّسامَهُ بالحِكمة في كُلّ مراحل الحوار؛ بدءًا بمرحلة إظْهار بشاعة الجاهليّة، ثمّ تصوير سماحة الإسلام والتعريف بقضيّة المسلمين، وتوصيفه الدّقيق للنّبي صلى الله عليه وسلّم، وُصولاً إلى هجومه الإعلامي على ديانة قريش الوثنيّة وأعمالها البَشِعة.. ففي كُلّ ذلك تجدُ الحِكمة راسخةً في خطاب جعفر وقلبه وعقله، وهي سِمةٌ جليلةٌ وخَصْلةٌ نبيلةٌ يتميّزُ بها الحكماء، ويتحلّى بها العُلماء، ويرنوا إليها الأذكياء، وهي كذلك مِنْ خِصال السّفراء، فجعفرٌ رضي الله عنه يُعتبرُ أوّلَ سفيرٍ دبلوماسيّ في الإسلام.

ولا غرابة في ذلك فجعفرٌ رضي الله عنه مِن خرّيجي المدرسة النبويّة علمًا وعملا وخُلُقًا، وعُنوانُ نجاحه هو اتّباعه لقوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ".(28) لقد سلك جعفر مسلكًا دعويّا قرآنيّا أصيلاً، يتناسبُ مع طبيعة البشر ويتوافق مع جميع أحوالهم، إنّه المسلك القائم على الرّفق واللّين والخُلُق الحسن، والصّبر على الأذى واحتساب الأجر لله تعالى.

ومِن ميزات هذا المنحى أيضًا ضرورة تقديم الأهمّ على المهمّ أثناء طَرْح القضايا الدّعويّة عمومًا، يقول الإمام الطبري أثناء تفسيره لهذه الآية الكريمة: "وخاصِمْهُم بالخُصومة التي هيَ أحسنُ مِن غيرها؛ أنْ تصفحَ عمّا نالوا بهِ عرْضِك مِن الأذى، ولا تَعْصِهِ في القيام بالواجب عليك مِن تبليغهم رسالة ربك".(29) وهو ما التزم به جعفر في حِواره مع النجاشي؛ حيث كظم غَيظه وتماسك ولم يردّ على استفزازات عَمْرو الذي أراد الكيد منه من خلال محاولاته المتكرّرة لتوريطهم مع النجاشي،فرغم ذلك تجاهل جعفر استفزازاته وكان تركيزُهُ مُوجّهًا نحو بيان الحقّ وإعلاء رايته، وتبليغ الرسالة المحمديّة، وإظهار سماحة الإسلام، والتّعريف بقضيّة المسلمين، دون الالتفات إلى محاولاتهم المتكرّرة للنّيل منه وأذيته.

وهذا هُو النّموذجُ الواجب إتباعه في مجال الدّعوة، ذاك الذي يُراعي مصلحة الإسلام والمسلمين في كلّ مواقفه وآرائه وأحواله، مع التحلّي بضَبْطِ النّفس والصّبر والقُدرة على التحمّل، واعتمادِ أسلوبٍ ليّنٍ في الخطاب بعيدٍ عن العُنف والخشونة، يقول القرطبي: "هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنةٍ وتعنيفٍ، وهكذا ينبغي أنْ يُوعَظ المسلمون إلى يوم القيامة".(30)

إنّ ذكاء جعفر وفِطنتَهُ وبراعتَهُ في الكلام وعُذُوبة ألفاظه، ودِقّة عِباراته، وقُوّة معانيها، وسُرعة تأثيرها.. كُلّ ذلك وغيرهِ أكْسَبَهُ خِبْرَةً واسعةً في معرفة طبائع النّاس، وما يتطلّبُهُ التّعامل مع كُلّ شخصيّة مِن الحكمة والموعظة الحسنة، والشدّة واللّين، والتّرغيب والتّرهيب، ولهذا اعتمد مَنهجًا دعويّا قائمًا على الحِكمة مع النّجاشي، وذلك لَمّا تنبّهَ إلى تميّزِهِ بشَخصيّةٍ مُنفتحَةٍ؛ تقبلُ الرّأي الآخر، وتمتاز بالعدل والإنصاف، ولا تتردّدُ في إعلاء راية الحقّ، ولهذا راعى جعفر مقام النّجاشي،

وأخذ بعين الاعتبار قابليّته للآخر، وهذا عَيْنُ الحكمة لأنّ الله تعالى جعل مراتب دعوة النّاس على درجاتٍ، كُلّ حسب قابليّتهم للفهم والإدراك؛يقول شيخ الإسلام ابن القيم: "جعل الله سُبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق. فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعى بطريق الحِكمة.والقابل الذي عنده نوعُ غفلةٍ وتأخّرٍ: يدعى بالموعظة الحسنة. وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. والمعاند الجاحد: يجادل بالتي هي أحسن.هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية".(31)وقال أيضًا: "ذكر سُبحانه مراتب الدّعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو؛ فإنّه إمّا أنْ يكون طالبًا للحقّ راغبًا فيه، محبّا لهُ، مُؤثرًا له على غيره إذا عرفه، فهذا يُدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جِدال. وإمّا أنْ يكون مُعْرِضًا مُشتغِلاً بِضِدّ الحق ولكن لو عرفهُ عرفه وآثره واتّبعَهُ فهذا يحتاج مع الحِكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب. وإمّا أنْ يكون مُعانِدًا مُعارِضًا فهذا يجادَلُ بالتي هيَ أحسن".(32)

إنّ النّاظر في حوار جعفر مع النجاشي وأسلوبه في طرح القضايا وتناول الأفكار وردّ الشبهات ودَحض الاتهامات؛ يلمسُ دور الحِكمة البارز في كُلّ ذلك، ومِن أهمّ العناصر التي تُبرزُ حُضور الحِكمة في أسلوب جعفر؛ أنّه كان يتكلّمُ بعِلْمٍ أثناء مُناقشاته ورُدوده، ولا ينطِقُ بحرفٍ دون معرفةٍ وإلمامٍ به، كما أنّه كان يُرتّبُ أفكاره ترتيبًا مُوفّقًا حسب الأهميّة ويُركّزُ اهتمامه على الأهمّ، ويُراعي بذلك نفسيّة المُخاطَب وهذا مِن أجلّ معاني الحكمة؛ يقول السّعدي في تفسيره: "ومِنَ الحِكمة؛ الدّعوة بالعِلم لا بالجهل، والبدء بالأهمّ فالأهمّ، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتمّ، وبالرّفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب".(33)

وبهذا الأسلوب الدّعوي المتشبّع بالحكمة نجح جعفر في هزيمة دَهاء عَمْرو ومَكْرِهِ وإصراره على الانتقام، وانهزمَتْ مِنْ ورائه قريشٌ التي أَيْقَنَتْ أنْ لا سُلطان لها على المسلمين خارج حُدودها، يقول الدكتور علي الصلابي: "أخفقت حيلة عَمْرو، وعاد الوفدُ إلى مكّة، يجرّ أذيال الخيبة، وعرفَتْ قريشٌأنها لنْ تُشبِع ضغينتها على الإسلام وأهلهِ إلاّ في حُدود سُلطانها، فعزمتْ أنْ تشفي غيظها ممّن يقعُ تحت أيديها. (34)

وهكذا كانت نهايةُ هذا الحِوار بانتصار الحقّ على الباطل بعدما ثبتَ أصحابه وتمسّكوا به، وبعد انتهاجِ منهجٍ دعويّ فريدٍ قائمٍ على العِلم والحِكمة وبراعة الخطاب، وهو ما ساهم بشكلٍ كبيرٍ في اقتناع النجاشي بالطّرح الإسلامي ودخوله للإسلام وظفره بالأجرين؛ أجْرِ المسيحيّة الحقّة وأجْرِ الإسلام،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأمّا النّجاشي ملكُ الحبشة النّصراني؛ فإنّه لـمّا بلغَهُ خبرُ النبيّ صلّى الله عليه وسلم مِنْ أصحابهِ الذين هاجروا إليه: آمنَ بهِ وصَدّقَهُ وبعثَ إليه ابنَهُ وأصحابَهُ مُهاجرين... وكانت سيرةُ النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنّ مَنْ آمن بالله وملائكتهِ وكتُبهِ ورسُلهِ مِنَ النّصارى صارَ مِن أمّته، لهُ ما لهُمْ وعليه ما عليهِمْ. وكان لهُ أجران: أجْرٌ على إيمانه بالمسيح، وأجْرٌ على إيمانه بمحمّد".(35)

الخاتمة:

وفي خِتام هذا البحث أحمدُ الله تعالى لإتمامه، وأرجو أنّي قد وُفّقتُ في إبراز الأسلوب الدّعوي الذي توخّاهُ جعفر بن أبي طالب مع النّجاشي، وذلك من خلال تحليل مضمون هذا الحوار واستخراج فوائده التي يُمكنُ لنا الاستفادة منها في عصرنا الحاضر، وقد خلصتُ إلى عددٍ من النتائج أهمّها:

1/أنّ حوار جعفر بن أبي طالب مع النجاشي يُعدّ مرجعًا في معرفة آداب الحوار وقواعده وأصوله.

2/ أنّ جعفر بن أبي طالب يُعدّ أوّل سفيرٍ دبلوماسيّ في الإسلام.

3/ أنّ أسلوب جعفر الدّعوي تميّزَ بـ:

-التحلّي بالرّفق واللّين وضَبط النفس أمام الاستفزازات والتركيز على صُلب الموضوع وأصل القضيّة

- الثّبات على المبادئ والتمسّك بما يعتقدهُ ويُؤمنُ به.

- التحلّي بالحِكمة في كلّ مراحل الحوار.

- براعة الخطاب وحلاوة المنطق وانتقاء العبارات المؤثّرة بدقّة وحسب ما يتطلّبه المقام.

- التركيز على ما يُحرّك وجدان الطرف المقابل ويُشْعِرُه بالراحة والطمأنينة تجاه ما يَسمعه.

- عدم التطرّق إلى نقاط الاختلاف لأنّ المقام لا يسمح بذلك، فلكلّ مقامٍ مقال ولكلّ مجالٍ رجال.

4/ إنّ هذه الخصائص المستفادة من أسلوب جعفر الدّعوي يُمكنُ استثمارُها اليوم بما يتوافقُ ومقتضيات العصر.

المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)

_ أحمد أحمد غلوش: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1424هـ-2003م.

_ أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسّسة الرّسالة)، ط1،1421هـ 2001م.

_الألباني ناصر الدين: السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف-الرياض، ط1، 1422هـ-2002م.

_ البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين:

_السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط3، 1424 هـ-2003م.

_دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1408 هـ-1988م.

_ ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد للطباعة-السعودية، ط1، 1416هـ/1995م.

_ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت، ط1، 1379هـ.

_ ابن خزيمة أبو بكر محمد بن إسحاق: صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي-بيروت، ط2، 1412 هـ - 1992م.

ـ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد:

ـتاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط1، 2003م.

ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط3، 1405هـ-1985م.

ـ السعدي عبد الرحمن بن ناصر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.

ـأبو طاهر المخلص محمد بن عبد الرحمن: المخلصيات، تحقيق: نبيل جرار، وزارة الأوقاف-قطر، ط1، 1429 هـ-2008م.

ـ الطبري محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.

ـ عبد الملك بن هشام:السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة البابي-مصر، ط3، 1375هـ-1955م.

ـعلي بن عبد الحي أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، دار ابن كثير – دمشق، ط12، 1425هـ.

ـ علي محمد الصلاّبي: السيرة النبويّة عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة-بيروت، ط7، 1429هـ-2008م.

ـ الغزالي أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة-بيروت، د ت.

ـ القرطبي محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عماد البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية-مصر، ط1، 2008م.

ـ ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر: ـمدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1416 هـ-1996م.

ـمفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية-بيروت، د ت.

ـالصواعق المرسلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408هـ.

ـ محمد الغزالي السقا: فقه السيرة، دار القلم – دمشق، ط1، 1427هـ.

ـ محمد بن يسار إسحاق:السّير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر-بيروت، ط 1، 1398هـ-1978م.

ـ أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله: حِلية الأولياء،دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة 1409هـ، د ت.

الهوامش:

(1)_ الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ط دار المعرفة-بيروت، د ت، 44/1.

(2) أخرجه ابن إسحاق في "السير والمغازي"، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر-بيروت، ط 1، 1398هـ-1978م، ص213. ومن طريقه: ابن هشام في "السيرة النبوية"، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة البابي-مصر، ط3، 1375هـ-1955م، 321/1. وأبو طاهر المخلص في "المخلصيات"، تحقيق: نبيل جرار، وزارة الأوقاف-قطر، ط1، 1429 هـ-2008م، 52/3 رقم (1983). والبيهقي في "السنن الكبرى"، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط3، 1424 هـ-2003م، 16/9 رقم (17734) وفي "دلائل النبوة"، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1408 هـ-1988م، 301/2. والذهبي في "تاريخ الإسلام"، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط1، 2003م، 576/1، وفي "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط3، 1405هـ-1985م، 146/1. وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة"، مكتبة المعارف-الرياض، ط1، 1422هـ-2002 م، 577/7 رقم (3190).

(3) أخرجه ابن هشام في "السيرة النبوية"، 334/1. وأحمد في "مسنده"، 170/37، رقم الحديث 22498.وابن خزيمة في "صحيحه"، 13/4، رقم الحديث 2260. وأبو نعيم في "حلية الأولياء"، 115/1. وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسنٌ". وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة"، 578/7.

(4) يراجع المصادر السابقة.والأَدَمُ نوعٌ مِن الجِلْد.

(5) يراجع المصادر السابقة.

(6) علي محمد الصلاّبي، السيرة النبويّة عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة-بيروت، ط7، 1429 هـ - 2008 م، ص203.

(7) محمد الغزالي السقا، فقه السيرة، دار القلم – دمشق، ط1، 1427هـ، ص122.

(8) أخرجه ابن هشام في "السيرة النبوية"، 334/1. وأحمد في "مسنده"، 170/37، رقم الحديث 22498.وابن خزيمة في "صحيحه"، 13/4، رقم الحديث 2260. وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسنٌ". وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة"، 578/7.

(9)علي محمد الصلاّبي، السيرة النبويّة عرض وقائع وتحليل أحداث، ص203.

(10)أخرجه ابن هشام في "السيرة النبوية"، 334/1. وأحمد في "مسنده"، 170/37، رقم الحديث 22498.وابن خزيمة في "صحيحه"، 13/4، رقم الحديث 2260. وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسنٌ". وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة"، 578/7.

(11) أحمد أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1424هـ-2003م، ص506.

(12)أخرجه ابن هشام في "السيرة النبوية"، 334/1. وأحمد في "مسنده"، 170/37، رقم الحديث 22498.وابن خزيمة في "صحيحه"، 13/4، رقم الحديث 2260. وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسنٌ". وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة"، 578/7.

(13) سورة الحديد، الآية 27.

(14) علي بن عبد الحي أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، دار ابن كثير – دمشق، ط12، 1425هـ، ص200.

(15) ابن قيم الجوزيةمحمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1416 هـ-1996م، 449/2.

(16) سورة النحل الآية 125.

(17) أخرجه ابن هشام في "السيرة النبوية"، 334/1. وأحمد في "مسنده"، 170/37، رقم الحديث 22498.وابن خزيمة في "صحيحه"، 13/4، رقم الحديث 2260. وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسنٌ". وصحّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة"، 578/7.

(18) يراجع المصادر السابقة.

(19) يراجع المصادر السابقة.

(20) يراجع المصادر السابقة.

(21) يراجع المصادر السابقة.

(22) يراجع المصادر السابقة.

(23)علي محمد الصلاّبي، السيرة النبويّة عرض وقائع وتحليل أحداث، ص205.

(24) ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت، ط1، 1379هـ.

(25) سورة البقرة الآية 269.

(26) ذكرها الطبري في تفسيره، 577/5.

(27) يراجع المصدر السابق، 578/5.

(28) سورة النحل، الآية 125.

(29) الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1420هـ-2000م، 321/17.

(30) القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عماد البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية-مصر، ط1، 2008م، 165/10.

(31) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية-بيروت، د ت، 153/1.

(32) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408هـ، 1276/4.

(33) السعدي عبد الرحمن بن ناصر،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط1، 1420هـ–2000م، ص452.

(34)علي محمد الصلاّبي، السيرة النبويّة عرض وقائع وتحليل أحداث، ص124.

(35) ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد للطباعة–السعودية، ط1، 1416هـ/1995م، 620/28.